ستان غوف

عمل ستان غوف جندياً في العمليات الخاصة التابعة للجيش الأمريكي (دلتا فورس، رينجرز، والقوات الخاصة) في حرب فيتنام، وغرينادا، وهايتي، وفي قواعد تدريبات الجيش الكولومبي وبيرو. درّس العلوم العسكرية في أكاديمية وست بوينت، وقاد عمليات سرية في السلفادور وغواتيمالا، وفي وحدة المهمات الخاصة التي أسقطت فيها طوافة من طراز بلاك هوك في مقديشو. وله كتاب أحلام شريرة من منشورات (سوفت سكل، 2000) وكتاب فوضى طيف كامل: الجيش في القرن الأمريكي الجديد(سوفت سكل، 2004) وهو أيضاً منظم حركة (أعيدوا الجنود إلى وطنهم الآن) وهي حركة تضم مئات من أسر الجنود الذين يشاركون الآن في الحرب في العراق والذين يعتقدون بأن أبناءهم يجبرون على خوض حرب غير شرعية وغير أخلاقية.

جيرمي إيرب: نحاول أن نوضح للناس المحرك الدافع وراء سياسة الحرب لهذه الحكومة. هل هي دوافع الإمبراطورية برأيك، أم أنها دوافع المحافظين الجدد؟ وهل هناك فارق بين الاثنين؟

أعتقد أن الديمقراطيين كانوا سيقومون بإرسال قوات عسكرية لاحتلال العراق وإيران لو كانوا في الحكم. إلا أنني أيضاً أعتقد أنهم كانوا سيتعاملون مع القضية بطريقة مختلفة. والمسألة الأكبر مدفوعة بحقيقة أننا على مشارف الوصول إلى ذروة إنتاج النفط على المستوى العالمي كما برزت أيضاً منافسة عالمية بين الولايات المتحدة والصين. إضافة إلى المناوأة الاقتصادية بين الولايات المتحدة وأوروبا. وبذلك أصبحت منطقة جنوب شرق آسيا محوراً من محاور

obeikandl.com

السياسة الطبيعية (الجيوبوليتيكية) لتدعيم موقف الولايات المتحدة في مواجهة المراكز الاقتصادية في المستقبل. لذلك فإنني أعتقد أن هذه المغامرات العسكرية هي أمر حتمي بالنسبة للحزبين الرئيسين.

ومما أوجد المشكلة بالنسبة لحكومة بوش هو سيطرة هذه المجموعة من المنظرين المتزمتين داخل الحكومة والذين يرتبطون بروابط غير صحية بأهداف إسرائيل التي تعتبر في نظرهم متراساً للولايات المتحدة في المنطقة دون الاعتبار بتأثير ذلك على سكان المنطقة الذين يشعرون بالظلم والإجحاف من ممارسات الحكومة الإسرائيلية. وأنا لست من الذين يقولون بأن هذا كله يتصل بعلاقة الولايات المتحدة بإسرائيل. أظن أن من الهراء قول ذلك. إلا أنني مقتنع بالتقاء المصالح، وهذا المفهوم لالتقاء المصالح أوهم بيرل وولفوويتس وغيرهم وعلى نحو خطير للسير في هذا الاتجاه.

كما أن لديهم نزعة نحو إحاطة أنفسهم بالأشخاص الذين يقولون لهم ما يحبون سماعه، وهذا هو ما يميّز حكومة بوش الثاني عن حكومة بوش الأول. فبوش الأول أحاط نفسه بأناس كانوا يتمتعون بنظرة ثاقبة في القضايا الجيوبوليتيكية. ولديهم المقدرة على إجراء تقديرات واقعية. لقد كانوا قادرين على عزل وتمييز ما يريدون رؤيته مما يهمهم من بين ما يشاهدونه أمامهم. وهذه الحكومة تفتقر إلى مثل هذه القدرات. لقد نظروا حولهم فلم يجدوا أحداً يقول لهم ما يريدون سماعه، فعملوا على إبعاد كل من يخالفهم الرأي إلى أن أصبحوا محاطين بمجموعة من الأشخاص الذين يعزفون على أنغامهم، ومنهم أحمد الجلبي. وهذا أمر مدهش بالنسبة لي، لأن هذا الشخص محتال من الدرجة الأولى، ولص. ولو ذهب إلى الأردن فإن مصيره سيكون إلى السجن لصدور حكم بالسجن لمدة ثلاثة وعشرين عاماً بحقه في قضية احتيال على أحد المصارف هناك. وما أعنيه أن هذا الرجل محتال، وقام بالاحتيال على رمسفيلد وبول

وولفوويتس وجورج دبليو بوش ودفعهم إلى الاعتقاد بأنه هو الأعرف والأخبر بما في العراق، وأقنعهم بأنهم سيستقبلون استقبال المحررين. وهو ما لم يحدث.

لقد أقنعهم الجلبي، وعمل آخرون على إقناعهم بوجود أسلحة دمار شامل في العراق، وأنهم سيجدون هذه الأسلحة، في الوقت الذي كان خبراء الاستخبارات الأمريكية يرون غير ذلك. وكان أصحاب الخبرة في الجيش يقولون لرمسفيلد بأن احتلال العراق هو "فكرة سيئة" من الناحيتين الإستراتيجية والتكتيكية، إنها فكرة عقيمة - لكل الأسباب التي نشاهدها اليوم. إلا أن رمسفيلد كان يملك القدرة على تهميش أي شخص لا يتفق معه وترقية أي شخص يوافقه. وكان هناك درجة عالية من الاستعلاء والفوقية بين صفوف النخبة المسيطرة في هذه الحكومة، وهذا هو سبب تردي الأوضاع بوتيرة متسارعة.

جيرمي إيرب: لكم كتابات عدة حول "إدارة التصور العام" أو "الانطباع العام" في أوقات الحرب، وبخاصة في هذه الحرب بالذات. ألا يمكن للمرء أن يجادل بضرورة إدارة مفاهيم الناس وانطباعاتهم؟ فهي ضرورة للجنود لضمان استمرار التأييد الشعبي للجيش، وذلك بالنظر، كما ذكرتم، إلى وجود قطاع عريض من الناس الذين تولد لديهم تبلد في المشاعر والأحاسيس بفعل ما يشاهدونه عبر وسائل الإعلام وأصبحوا لا يعيرون انتباهاً لهذه الحرب لولا هذا النوع من إدارة الرأي العام؟

هذا صحيح بنسبة 90٪. وهذا هو بالضبط الهدف من إدارة الرأي العام. إنها تهدف إلى ضمان استمرار دعم الناس للحرب، أو إذا لم يكن الدعم، فعلى الأقل عدم معارضتهم لها. ولكنها أيضاً تهدف إلى طمس عيون الناس عن الحقائق الأعمق للحرب. وإذا نجحت في المحافظة على تركيز الناس على

المجريات اليومية للحرب، فإنك ستتمكن من إظهارها لهم على أنها قصة (دراما) ذات بعد أخلاقي، وهي ليست رواية أخلاقية. هناك أفراد من الجيش الآن يقومون بأعمال مثل القتل بدافع الإثارة. وهي نفس الأعمال الدموية العدوانية غير الأخلاقية التي شاهدناها في فيتنام. وهذه الأعمال ترتكب في هذا الوقت، وتجري على مرأى ومسمع القادة العسكريين الكبار، إلا أنه يتم التغاضي عنها لأن من الحكمة تجاهلها. إذن، المسألة ليست مسألة أبيض وأسود.

الأمريكان ليسوا طرف الخير في نظر غالبية العراقيين، والطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها ملاءمة هذه الحقيقة أمام الرأي العام الأمريكي هي تجريد العراقيين من إنسانيتهم. أن تجعل العراقيين بمجموعهم أناساً أغبياء أو منحرفين كثيراً لدرجة أنهم لا يعرفون ما ينفعهم. في حين أن الحقيقة هي أن صدام حسين لم يكن يحظى بشعبية في العراق. وتظهر استطلاعات الرأي الآن أن غالبية العراقيين يرون أنهم كانوا أحسن حالاً أيام حكم صدام حسين، وهو من الناحية الموضوعية صحيح. والواقع أن العراق كان قبل الحملة العسكرية الأمريكية الأولى (1991) دولة حديثة جداً، وأنا لم أجلس هنا لكي أكيل المديح لصدام حسين وأدافع عنه، فهذه ليست مسؤوليتي، إلا أنني أعتقد أن كل شخص يحمل على عاتقه مسؤولية قول الحقيقة. وهناك وجهان للحقيقة في هذه المسألة. لقد ارتكب حزب البعث بعض الأخطاء، واقترف بعض الجرائم. إلا أنه حقق أيضاً إنجازات كبيرة. وهذه هي الحقيقة المعقدة التي لا يرغب الناس أن يعترفوا بها. لأنهم مهتمون فقط بالبحث عن الطرف الخيّر والطرف الشرير. إلا أننا لا نتعامل هنا مع طرف حسن وطرف قبيح؛ إننا أمام سياسات حكومية إقليمية في المنطقة. ولهذا السبب يجد الناس صعوبة في استيعاب ما يشاهدونه الآن، ولسان حالهم يقول: "هناك خلل ما، ولكننا لا نستطيع تحديده بدقة، ليس من المفروض أن نرى هذا التدفق المتواصل للضحايا" والصورة لا تنسجم مع

الخلفية المتكونة في أذهانهم، هناك نوع من التنافر في الأفكار لدى الناس، ولكن ليس لدهم وسيلة للتوفيق بين ما يشاهدون وبين ما في أذهانهم من انطباعات لأنهم اقتنعوا بأن العالم ينقسم إلى قسمين: الأشرار والأخيار. وهم لا يدركون الحقائق التي تستند عليها السياسات الحكومية الخارجية. لم يكن الهدف من هذه الحرب الإطاحة بنظام صدام حسين، بل كان احتلال العراق. ولكن كان من الضروري صنع "الشخصية الشريرة"، كان يتحتم وجود مثل هذا الرمز من أجل جعل احتلال العراق أمراً سائغاً. لأنه لا يمكنهم أن يقولوا للناس إننا ذاهبون إلى المنطقة لاحتلال العراق والسيطرة على دولة يمكن أن تكون مصدراً مهماً لإنتاج النفط لبقية العالم. والسبب الذي جعل الناس يشعرون بهذا التنافر في عقولهم أننا الآن نشاهد هذه الانتصارات غير المتكافئة. نحن نخسر فرداً وهم يخسرون خمسة. إنها تشابه ما كان يحدث في فيتنام لدرجة تقشعر منها الأبدان. ولكن في الوقت نفسه، لا شيء يتحسن هناك لأن الناس لا يفهمون. إنها عالم مانوي من الأخيار والأشرار.

إن معظم الناس في الولايات المتحدة لا يدركون أن العمليات العسكرية هي في طبيعتها سياسية. وفي النهاية فإن العمليات العسكرية ليس لها أهداف عسكرية بل أهداف سياسية. والنجاح العسكري لا يقاس بالنتائج التكتيكية، بل يقاس دائماً بنتائجه السياسية. ولهذا السبب استطيع القول الآن بكل تأكيد أن الولايات المتحدة قد خسرت الحرب في أفغانستان وأنها خسرت الحرب في العراق، وذلك على الرغم من نجاحها في احتلال تلكما الدولتين. إذ لم تتحقق النتائج السياسية المرجوة من الحملة العسكرية فيهما، بل بالعكس فإن الأمور تتحول إلى الأسوأ يوماً بعد يوم.

وفي الحقيقة أن معظم الإجراءات التي اتخذت حتى الآن تزيد من تعقيد الأمور وذلك للافتقار إلى حيلة تصلح التناقض بين الحقائق العسكرية والحقائق

السياسية، وهو ما حدث بالضبط في فيتنام. وكما كان ويتمورلاند يقول: "أرسل إليّ المزيد من الجنود وسوف أحقق النصر". ولم يخطر في باله أن كل ما يلزم الفيتناميين فعله لتأمين النصر هو الصبر والتحمل. وكل ما يلزم العراقيين فعله هو أن يتحملوا يوماً واحداً أكثر من الأمريكان. ليس من الضروري أن يحققوا أي انتصارات تكتيكية، بل أن يصبروا ليوم واحد أكثر.

وهذه حقيقة لا مفر منها، وهي حقيقة يتفهمونها جيداً. ونحن نسمع التلفيق الإعلامي يومياً: في البداية كان يقال بأن الذين يقومون بأعمال المقاومة في العراق هم الموالون لصدام حسين، بعد ذلك قالوا بقايا البعثيين، والآن يفترض أنهم المقاتلون الأجانب من القاعدة. لقد كنت في العراق، ويمكنك أن تقول بأن عمليات المقاومة في العراق هي أكثر تماسكاً مما يعترفون به. ويمكن استنتاج ذلك بسهولة لأن العمليات تبدو قادرة على التحول بسهولة من الأهداف المعقدة إلى الأهداف السهلة في أقل من 24 ساعة.

أما الشيء الأخر الذي بدأ بالظهور الآن، والذي سيشكل مشكلة للقوات الأمريكية في العراق فهو أنهم لم يتوصلوا حتى الآن إلى حل للمشكلة الكردية. فتركيا التي هي عضو في حلف شمال الأطلسي، ليس لديها النية في أن ترى كردستان مستقلة تنمو على حدودها الجنوبية. فأنت هنا أمام حليف قلق جداً مما تفعله الولايات المتحدة مع الأكراد الذين لا يخفون نواياهم بإقامة كردستان مستقلة، ويقومون بأعمال عدوانية ضد التركمان والعرب الموجودين في ما يعتبرونه كردستان العراقية. وهي أغنى المناطق العراقية بالنفط. وتتاخم تركيا وإيران. لذلك فإن الأوروبيين لديهم مشكلة كبيرة إذا ما تزعزع الاستقرار بين الأتراك والأكراد لأن ذلك سينعكس بشكل مباشر على الجاليات التركية والكردية الموجودة في أوروبا على شكل اضطرابات وأعمال عنف كما حدث في ألمانيا في بعض الأوقات.

إذن، فالوضع الآن ليس قابلاً للحل. إلى أين ستتجه الأمور من هنا؟ جيمس غليك ألف كتاباً بعنوان "نظرية الفوضى" وذكر فيه نقطة مهمة وهي أنه بإمكانك أن تضع معادلة حسابية تثبت إمكانية أن تجعل قلم الرصاص يقف على رأسه المدبب. بإمكانك أن تكتب تلك المعادلة وتثبتها رياضياً وفيزيائياً، ولكنك لا تستطيع أن تطبقها عملياً. لقد أمضى دونالد رمسفيلد وقته في كتابة المعادلات لإثبات إمكانية توقيف القلم على رأسه المدبب، إلا أنه لن يتمكن من تطبيق ذلك. هذا هو الوضع الذي وضعوا أنفسهم فيه في العراق.

جيرمي إيرب: لقد تحدثت عن احتمالات قيام أفراد الجيش بعمليات "القتل للإثارة" في مقالة بعنوان "إلزم إنسانيتك". وإنني أتساءل هنا: ما هي الرسالة التي كنت تحاول أن توصلها إلى القراء. وهل كان هناك استجابة وردة فعل على هذه المقالة. هل وصلتك ردود فعل وبالتحديد من الجنود المشاركين في الحملة العسكرية في العراق؟

من أصعب الأيام التي مرت بي هذا العام يومان عصيبان، الأول عندما ودعت ابني لدى توجهه إلى العراق ضمن القوات الأمريكية، والثاني هو اليوم الذي انفجرت فيه حافلة مفخخة في الرمادي في 11 ديسمبر، وهي المنطقة التي كانت تتمركز فيها وحدته. وانتظرنا يومين كاملين قبل أن نسمع خبراً منه. وكنا في حالة عصيبة من الترقب والتوتر. إنني أعيش صراعاً حقيقياً حول هذه الحرب، ولا أعتقد أن هناك أي سبب يدفعني إلى عدم الإفصاح عن مشاعري الحقيقية تجاه هذه القضية.

فمن جانب، لا أتمنى الشر والمكروه لأحد. لا أريد أن أشاهد مزيداً من الجنود الأمريكان من قتيل وجريح. وابني هو واحد من هؤلاء الجنود، وأرغب أن أشاهد الجنود كلهم يعودون إلى وطنهم وذويهم. أريدهم أن يعودوا كما ذهبوا. ومن جانب آخر، فإنني أتفهم وأحترم حق العراقيين في مقاومة الأجنبي المحتل.

إذا قام أحد باحتلال الولايات المتحدة، فإننا سنفعل الشيء ذاته في مقاومتهم. لذلك فإني أتفهم ذلك. إنها حقائق متناقضة، ولكن هذه هي الحياة.

وفيما عدا القلق الواضح لكل أب أو لكل زوجة أو أخت أو أخ ممن لهم قريب في ميدان القتال. فإنني أخشى من تعرضه هناك لآثار اليورانيوم المنضب وغيره من العوامل المضرة بالصحة والتي لا نعرف عنها شيئاً؛ أو من تلقيه مجموعة من المطاعيم دون أن تجرى عليها فحوصات كافية حول آثارها الجانبية. وقد يكون من المرجح أن هذه المطاعيم هي المسئولة عن مرض متلازمة حرب الخليج التي ظهرت بين الجنود عقب تحرير الكويت عام 1991. وأكبر مخاوفي هو أن يعود بدرجة الجنون التي عدت بها أنا من فيتنام.

لقد أصيب كثير منا بالجنون بطريقة أو بأخرى. بعضنا كان أسوأ من بعض. بعضنا تحسّن بمرور الزمن، وقسم لم يتحسّن. وهناك عدد كبير أصبحوا مشردين بلا مأوى. وبخاصة الذين أدمنوا على المخدرات، أو الانتحاريين، أشخاص من سنّي أو أكبر مني من الذين شاركوا في حرب فيتنام. قسم كبير من هؤلاء الأشخاص شاركوا في المعارك على خطوط النار. وإذا قام أحدهم بقتل آخر دفاعاً عن النفس لا أعتقد أنهم يلامون. إلا أن ذلك لا يهوّن من الأمر شيئاً، لأن ما يحدث هو غير ذلك. إنها ليست الصورة المحسنّة والمنقّاة التي يشاهدها كل شخص في الأفلام أو الأخبار مرة بعد أخرى.

أولاً، الشخص الشرير ليس شخصاً سيئاً بالكامل، إنه فقط شخص آخر. الأمر ليس بهذه النظافة. إنها ليست تجربة منقية للمشاعر. إنها ليست شيئاً يمكنك أن تدير ظهرك له وتسير بعيداً – دعك من التوتر والضغط الناتج عن كونك في محيط لا يكون فيه هذا الاتصال ممكناً وبخاصة في نزاع يصعب عليك التمييز فيه بين المحيطين بك، من السكان المحليين، بين الأعداء والأصدقاء. إنها تخلق وضعاً يجعلك تشك في كل شيء حولك وفي كل الناس. وهذا الشك يتحول

بدوره إلى نوع قوي من العنصرية ذات المفعول القوي. وبإمكانك أن تذهب إلى العراق الآن لتجد أن الغالبية العظمى من الجنود تسمي العراقيين "رؤوس الخرق"(*) أو " هاجيز"(*) وهذا جزء من عملية التفاعل مع التناقض بين المعتقدات والممارسات. وسببه احتمال أنني سأقتلك، ولهذا لا يمكن أن أنظر إليك على أنك شخص مثلي. لا يمكنني أن أنظر إليك على أنك شخص تستحق أن أتعاطف معك. وإلا فلن أكون قادراً على الدفاع عن نفسي.

عندما كنت أتلقى تدريباتي الطبية في القوات الخاصة، جرى إخضاعنا لدورة لمدة أربعة عشر أسبوعاً في المختبر. وكان المختبر للماعز، وعلى مدى الأربعة عشر أسبوعاً تطلبت التدريبات استهلاك حوالي 400 رأس من الماعز. كنا نقوم بتخدير الماعز، ثم نضعها في الساحة ونباشر بطعنها والانقضاض عليها، ومن ثم نأخذها إلى الجراحة. بعد ذلك، نحضر الماعز لكي نطلق عليها النار، نطعنها ونصرعها. كانت الماعز مخدرة. ثم نتوجه بعد ذلك لتلقي تدريبات على إدارة صدمة المعركة كي نعتاد على التعامل مع القضايا الحية. وحتماً بعد الأسبوع الأول من التدريب، فإن الأشخاص الذين ليس لديهم رأي محدد حول الماعز، أصبحوا يكرهون الماعز. ونبدأ بالحديث عن "هذه الحيوانات الغبية". إنها مقززة، إنها كذا وكذا، كان علينا أن نجد طريقة ننزع منها أي قيمة بسبب ما كنا ملزمين بفعله بها.

وهذه نتيجة حتمية لأي وضع مشابه، وبخاصة بالنسبة لجيش محتل. لأنهم لا يملكون أي مسوّغ أو عذر لوجودهم في تلك البلاد. إنهم هناك، إلا أنهم ليسوا متأكدين لماذا هم هناك. وقد قدمت لهم أسباب لما يقومون به، إلا أن عدداً كبيراً

(*) من الألفاظ النابية التي تستخدم لتحقير العرب وكلمة ممسحة أو خرقة وهي كناية عن غطاء الرأس الذي يلبسه العرب على رؤوسهم خصوصاً في دول الخليج وبلاد الشام والعراق.

(*) مشتقة من كلمة حجاج.

منهم بحاجة إلى مستويات أعلى من "النكران" من أجل الإبقاء على هذه المسوغات العقلية. بعض الأشخاص ينطوون على أنفسهم ويخرجون هذه المشاعر فيما بعد عن طريق المخدرات وشرب الكحول والانخراط في نشاطات خطرة. وبعضهم يبحث عن المساعدة ويحاول أن يتحسن. وهم ليسوا بحاجة إلى الحصول على هذه المساعدة من داخل المؤسسة العسكرية لأن واجب الأطباء النفسيين العاملين في الجيش هو إعادتك إلى الخدمة، لذلك لو ذهبوا إليهم فسيحصلون على بعض الأدوية المهدئة غير المجدية، وبعضهم يعتاد ويدمن على تلك الأدوية. وهذا أمر يصعب وصفه. ولكن عندما يحدث فإن من العسير إعادة هؤلاء الأشخاص إلى حالتهم الطبيعية لوجود نوع من الحرية والمتعة التي تصاحب تجاوز آخر المنوعات. ويمكن أن يولد لدى الشخص شعوراً بالقوة. وقد حدث ذلك لأعداد من الناس أكبر بكثير مما يريد الناس تصديقه.

ليس من الصعب قتل نفس بشرية. وعندما نفعل ذلك فإن الأرض لن تنفتح لتبتلعك. وتعود الأمور إلى ما كانت عليه، ولا يحدث شيء مفاجئ درامي، وإذا قتلت للمرة الثانية أو الثالثة فإن بعض الناس ولأسباب لا أستطيع توضيحها يتولد لديهم تعطش للقتل. وهذا التعطش ليس لقتل الأعداء، بل تعطش للقتل أي قتل. لقد سبق أن تحدثت إلى عدد كبير من طياري الطوافات الذين عادوا من فيتنام، وكانوا يعبرون عن متعة القتل الذي كانوا يمارسونه في فيتنام بالقول "إنني أعشق حصدهم بالرصاص". إنها من أكبر أعمال الإثارة في حياتهم. البحث عن شخص ما في منطقة لا يوجد فيها شهود، وإمطاره بوابل من الرصاص والقضاء عليه. وهذه الممارسة شائعة على نطاق واسع وأكثر مما يحب الناس أن يعترفوا به- لقد اكتشف أمر الجنود الذين ارتكبوا مجزرة ماي لي، إلا أن ما حدث في ماي لي كان يحدث كل يوم في فيتنام. ربما ليس بالدرجة نفسها. إلا أنه كان يحدث في كل وقت.

إنني أؤيد حركة أُسَرِ وقدامى المحاربين في فيتنام لقول الحقيقة. والسبب الذي دفعني إلى كتابة ذلك المقال هو أن ذوي الجنود بدأوا يكتبون لنا عبر موقعنا الإلكتروني للتعبير عن قلقهم من التغيرات التي حدثت لأفراد أسرهم من الجنود العائدين من ساحة المعركة. إنها تغيرات ذات دلالات خطيرة، وتشير إلى أن مثل هذه الأمور ستحدث. لقد بدأوا يلاحظون اتساع الهوة في التواصل بينهم وبين أحبائهم. بدأوا يلاحظون تكوّن نزعة حادة لدى هؤلاء الجنود تدل على أن حالتهم النفسية بدأت تتحول إلى الدموية والجنون. إنهم قلقون، وهم محقون في قلقهم هذا. فقمت بكتابة تلك المقالة ووصفت فيها كيف تحدثت تلك العملية مع بعض الناس، ولماذا تحدث. وترتبط هذه المشكلة في أصلها بعملية تصوير الشعوب التي تحتل بلادهم بأنهم بهائم دون البشر. ولو أدرك هؤلاء ما حدث لهم، فإنه يسهل عليهم التعامل مع الحالة. وربما يكون من الأسهل عليهم البحث عن وسيلة تحول دون استحكام هذه النزعة في نفوسهم.

وعقب كتابة تلك المقالة تلقيت مئات من الرسائل الإلكترونية من أسر الجنود في مناطق نزاع أخرى يقولون فيها بأنه شاهدوا هذه الأعراض على أبنائهم. بعضهم انتحر، ولا أدري بالضبط عدد الرسائل الإليكترونية التي وصلت من أناس قالوا بأنهم يعرفون أشخاصاً انتحروا بسبب ذلك. إنه أمر مفزع. أو من أشخاص هاموا على وجوههم في الشوارع، أو انتهى بهم المطاف إلى السجن أو المصحات النفسية. وصلتنا رسائل من أفراد يقولون "إن ما كتبته ساعدني في فهم ما أراه يحدث أمامي، وسوف أرسل المقالة إلى ابني" أو "سأرسلها إلى زوجي."

كما وصلتني رسائل من أناس من مسرح الأحداث، وكان 60٪ منهم تقول:"نعم هذا حقيقي، نشكرك على كتابة المقالة. إنها مسألة مهمة" أما الأربعين بالمائة فكان من بينها عدد من الرسائل التي تهدف إلى إلهاب المشاعر كالتي

تقول " خائر، جبان، الخ..." وحاول عدد كبير منهم إقناعي بأنني مخطئ بقولهم:"هذه الحرب ليست فيتنام. إنها تختلف". وكأنني أتحدث عن ظاهرة نفسية ينحصر ظهورها ضمن حدود جمهورية فيتنام دون غيرها. إنني لا أستطيع أن أصف لك مقدار التأثير الذي أحدثته تلك المقالة.

وقمت بإرسال نسخة منها إلى ابني بعد انفجار الشاحنة المفخخة في الرمادي، وأبدى تقديره لما جاء فيها. فقد كان هناك توتر كثير. كانت الشاحنة التي انفجرت في الرمادي تنقل سجاداً إلى مكتب الجنرال. وهذا هو سبب سماحهم للشاحنة بدخول الثكنة العسكرية. وأدى الانفجار إلى مقتل شخص وجرح أربعة عشر آخرين. وقتل ثلاثة عراقيين. ووقع الانفجار داخل الثكنة وليس خارجها كما ذكرت الأخبار. وتوجد تعليمات للجنود الأمريكان بملازمة العراقيين الذين يعملون في الثكنة كعمال القمامة والتنظيف أو الذين يقومون بخدمة توصيل ونقل اللوازم من وإلى الثكنة؛ ومهمة هؤلاء المجموعة مرافقة وملازمة العراقيين. وهكذا توفي الجندي الأمريكي في هذا الانفجار. وكان هذا الجندي من رفاق ابني في العراق. وعندما تحدثت إلى ابني أول مرة بعد الحادث استشعرت الغضب الثائر في نفسه، تلك الحدة التي تحدثت عنها. كان غضبه منصباً على "هؤلاء العراقيين أبناء الفاعلة." ولكن وبعد أن مضى بعض الوقت وهدأ روعه، وأرسلت إليه تلك الرسالة المفتوحة، قال لي:"نعم، أنت محق يا أبي" وسمعنا من أسر الجنود الآخرين، ليس فقط عن الرسالة، ولكن عن سهولة الانزلاق إلى تلك الحالة في نزوة الغضب. من الضروري أن تخرج نفسك من ساعة الغضب. واستعادة قواك العقلية

جيرمي إيرب: كتب نورمان ميلر مؤخراً مقالة تحدث فيها عن الصدى الخاص الذي تردده هذه الحرب لدى الطبقة العاملة وبخاصة فئة الذكور البيض. هل تشاهد أي ارتباط بين الطريقة التي لقيت فيها

هذه الحرب التأييد والاستحسان في وسائل الإعلام الدارجة وبين ظاهرة القتل بدافع الإثارة الذي تحدثت عنه للتو؟ بمعنى آخر، هل القتل للإثارة والمتعة هو ظاهرة تظهر في ساحة المعركة فقط، أم أن هناك أنواعاً منها قد تظهر في الحياة المدنية. هل تتحقق متعة بالتبعية لدى الذكور بالتحديد من مشاهدة الحرب عبر شاشة التلفاز لا يحصلون عليها في حياتهم اليومية المخدرة؟

لا أعرف بالضبط ما يقصده نورمان ميلر من إضفاء طابع "الرجولة" على الطبقة العاملة من فئة الذكور البيض. إلا أن من المؤكد وجود شيء من هذه التفرقة النوعية. وباعتقادي أن الأمر فيه أكثر مما نشاهده على شاشة التلفاز والأفلام من مشاهد منقاة ومصححة مضافاً إليها عنصر الدراما والإخراج الفني. ثم بعد ذلك نتحوّل إلى مجتمع وحشي همجي فظيع ويصبح الأمر مقبولاً لدينا. وأنا متأكد من أن ذلك جزء من هذه الظاهرة. وأعتقد أن هناك بعض المفاهيم الاجتماعية التي لها صلة بهذه القضية. لقد لاحظت أن التوجهات الاجتماعية تتبع ما يحدث على أرض الواقع. وفي الأوقات التي يصبح فيها الجيش محور اهتمام أجندة الدولة، نلاحظ إنتاج المزيد من الأفلام ذات الصبغة العسكرية من استوديوهات هولي وود.

ولكني أعتقد أن النزعة العسكرية هي نوع من الأيديولوجية التي كانت وما زالت تشكل جزءاً أساسياً في المفهوم الأمريكي للرجولة. وهذا المفهوم هو ثمرة دولة البوليس التي أعقبت الحرب العالمية الثانية. وهي الفترة التي احتفظت فيها الولايات المتحدة ولأول مرة في تاريخها بجيش نظامي. ولم تبدأ بالاحتفاظ بجيش نظام كبير طوال الوقت إلا بعد الحرب الكورية. وأعتقد أن الفكرة القائلة بأن أفكار الناس تتبع ممارساتهم هي فكرة صحيحة. وقد كان الجيش جزءاً جوهرياً في المشروع الأمريكي منذ العقود الماضية الأخيرة. وعندما تصل أمريكا إلى الذروة فإن الجيش الأمريكي يصل إلى الذروة معها.

وهناك إعادة صياغة وتحديد مستمرين لمفهوم "الرجولة"، ويوجد عدة أنواع من "الرجولة". إلا أن النوع الأسمى كان يتمثل دائماً بصورة الجندي المقاتل في الجيش- ومع أن تلك هي صورة كاريكاتورية بالكامل، إلا أنها تصور دائماً في وسائل الإعلام والسينما بصورة فردية مغالية فهي تعكس دائماً صورة شخص قوي صارم يملك كل المهارات الاجتماعية والقدرات الخارقة التي تمكنه من تجاوز كل العقبات والعوائق والتغلب على الأعداء. في حين أن الحياة العسكرية في حقيقة الأمر هي حياة مؤسسية تقوم على طمس الفردية. ولا أقصد الفردية بمفهوم الشخصية بل الفردية كأيديولوجية. فالجيش يشجع العمل ضمن فريق لأن الجيش يقوم على العمل الجماعي. وهذا الجانب يمثل أبرز التناقضات التي سيلحظها كثير من الناس عبر الحملات الدعائية الموجهة إلى الشباب للالتحاق بالمؤسسة العسكرية. فانظر مثلاً إلى آخر حملة دعائية للتجنيد، ولأن الحملات الدعائية توجه نحو ما يحب الناس مشاهدته. فإنها تستقي من تلك الصور الكاريكاتورية. فانظر إلى حملة "جيش من شخص واحد". إنها قمة الدجل! جيش من شخص واحد؟ كيف يكون ذلك؟ ليس من الممكن بحسب التعريف أن يوجد جيش من شخص واحد. إن حجم الجيش يتحدد بحجم أفراده. والجندي هو جزء من مجموع الجيش، ومصلحة المجموع مقدمة دائماً على مصلحة الجندي الفرد. وهو كيان تعاوني جماعي من الداخل. وفي واقع الأمر أن المنافسة تمت إزالتها بصرامة داخل مؤسسة الجيش باستثناء القسم الإداري الخاص بشؤون الأفراد.

وأنا أتساءل عن المجندين الجدد الذين يلتحقون بالجيش بناءً على فكرة جيش من شخص واحد، ولسان حال الواحد منهم يقول:" سوف أكتسب مهارة، سأكون شخصاً مرموقاً، وسأكون محل إعجاب الجميع". وأتساءل كيف ستكون ردة فعلهم بعد أن ينخرطوا في الجيش ويكتشفوا أن ما فعلوه هو أنهم طمروا

أنفسهم في أشد المؤسسات البيروقراطية في البلاد. كم عدد الأشخاص الذين ستخيب آمالهم من ذلك، أضف إلى ذلك أن حرب العراق أحدثت أزمة في تجنيد المتطوعين والإبقاء على مستوى عدد الجنود الحاليين.

جيرمي إيرب: بالعودة إلى السياسة، كيف تفسر ظاهرة ميول الذكور إلى الحزب الجمهوري وسياساته، وهي الظاهرة التي تكونت منذ عهد نيكسون؟ لماذا نشهد هذا الإقبال الكبير من قبل فئة الذكور البيض من الطبقة العاملة على الحزب الجمهوري؟

لا أعتقد أن هناك شيء واحد فقط يجذب الناس إلى الحزب الجمهوري. فالجمهوريون لديهم أكثر من قاعدة شعبية انتخابية. فلديهم مجموعة تشبه التحرريين من المؤيدين المهتمين بالسياسات المالية المحافظة للحزب ولا يهمهم إن كان الناس يتعاطون المخدرات أو يمارسون الموبقات، فهذه الأمور لا تعنيهم البتة. وهمهم الوحيد هو أن لا ترفع الضرائب. وهناك قسم كبير من القاعدة الشعبية للحزب الجمهوري مؤلفة من الأصوليين المسيحيين. وهؤلاء لا يمكن التقليل من شأنهم. وهذا النوع من المسيحية مرتبط ارتباطاً وثيق بكثير من الطوائف الإنجيلية الأصولية المنتشرة في الولايات الجنوبية، وأعتقد أن هذه هي أساس العلاقة بين الحزب الجمهوري وفئة الذكور البيض من الطبقة الكادحة تحديداً والذين ازدادت أعدادهم منذ تبنى نيكسون "إستراتيجية الجنوب" والتي تركزت رسالتها حول مشاعر الامتعاض ضد المكاسب السياسية والاجتماعية التي حققتها الأقلية السوداء والمرأة. وتم توجيه هذه الإستراتيجية في الولايات الجنوبية.

وعندما تستقطب هوية الشخص، جيلاً بعد جيل، حول الذكر/ الأنثى، ورجولي /نسائي، أبيض/ أسود، فإن ذلك يمكن أن يشكل تهديداً غير عقلاني. وأعتقد أن ذلك أحدث نوعاً من رد الفعل المعاكس. وفي واقع الأمر، فإن الناس لا

يحاولون فصل مسألة النوع والأصل العرقي. فليس هناك من شيء يلهب الحمى السياسية لدى كثير من الذكور البيض، في الجنوب والشمال، مثل رؤيتهم لرجل أسود برفقة فتاة بيضاء. والآن قل لي ما سبب ذلك؟ إننا بحاجة إلى أن نفصل ذلك إذا أردنا أن نفهم الأساليب التي يوظفها خطباء ودهماء الحزب الجمهوري. إنها خطة لا تستند إلى العقلانية، ولهذا السبب فإن الفكرة القائلة بأنه يمكننا محاولة ثني الناس عن تلك الجاذبية هي فكرة غير صحيحة- لأننا لم نقم حتى الآن بالبحث في جذور هذه الظاهرة. وأنا أرى أنها شكل من أشكال الذعر الجنسي العميق، وهذه الفجوة النوعية بين الذكور والإناث تمتد إلى جذور عميقة. ولا يوجد شيء أتقنا التدرب عليه أكثر من الهوية النوعية. إنها أول شيء نفهمه عن أنفسنا فيما يميزنا عن الناس الآخرين: إنه النوع (ذكر أم أنثى). وفيما يتعلق بالعرق، فإن كل حملة انتخابية تنادي بنقض المكاسب السياسية والاجتماعية التي حصل عليها السود في الولايات المتحدة كانت مصحوبة بحملات دعائية تضليلية تتحدث عن حماية نساء الجنس الأبيض من الرجال السود، بدءاً من نقض إعادة دمج الولايات المنفصلة عن الاتحاد عقب الحرب الأهلية، إلى تطبيق الفصل العنصري ضد السود، والنضال نحو منع السود من مشاركة البيض في وحدات الجيش، واستهداف حركة الحقوق المدنية، وإلغاء القوانين التي تحظر التمييز العنصري.

وما زالت جاذبية هذه القضايا قائمة إلى اليوم، وحتى عند الحديث عن مبادرات مدارس الأحياء. وهذه القضية لا تتعلق بالعقلانية بالنسبة لكثير من الناس. إنها لضمان عدم تخالط البنات البيض مع الأولاد السود. هذا كل ما في الأمر. كيف يمكنك أن تدعم ذلك سيكولوجياً؟ ربما أنني لست مؤهلاً لفعل ذلك. لدي أفكاري الخاصة. إلا أنها مؤسسة على تجربتي الشخصية لأنني عشت حياتي كلها بين السكان البيض، وما تبقى من أقاربي ما زالوا يعيشون في ولاية

آركانسا، لذلك فهذه المسألة ليست غريبة عني. إذا رغبت أن تغضب شخصاً من الجنوب فأرسل إليه صورة لامرأة بيضاء مع رجل أسود. إنها قضية سياسية ساخنة بالنسبة لهم.

جيرمي إيرب: في ضوء ما نشهده من نزعة عسكرية ونبرة رجولية عالية والميزة السياسية لهذا كله، كيف ترى هذه الانتخابات من حيث مقدرة الرئيس بوش على إدارة قضايا الأمن؟

كما تعلم، فإن بوش يقف موقفاً حرجاً من جميع الجوانب: فحكومته في موقف حرج فيما يتعلق بالحرب، وهي أيضاً كذلك فيما يتعلق بالأمن القومي. بإمكانك أن تتحدث إلى أي فرد في دائرة الدفاع المدني، أو في جهاز الأمن العام، وسوف تجد أن هذه الإدارة لم تفعل شيئاً واحداً يذكر في شأن الأمن القومي. وكل ما فعلوه هو إصدار التحذيرات الملونة بحسب درجة الخطر بهدف إخافة الناس، أما ما فعلوه على أرض الواقع لتحسين مستوى الأمن الداخلي فلا شيء يذكر. وفي الواقع أنهم عمدوا إلى مهاجمة ومعاقبة كل من صرح أو تقدم بمعلومات تفيد أن منشآتنا غير آمنة. وحكومة بوش هي أعتى حكومة في تاريخنا الحديث في تتبع وملاحقة الأشخاص الذين يطلقون صفارات الإنذار، وبخاصة الذين يشيرون إلى الأخطاء والمخالفات التي من شأنها أن تهدد أرباح الشركات أو التي قد تهدد بعض الوكالات الفدرالية. ولو قام الحزب الديمقراطي بالتركيز على أخطاء هذه الحكومة في مجال الأمن القومي فإنه سيضمن سحقهم في الانتخابات.

جيرمي إيرب: أخيراً، ما هو رأيكم بنوعية الخطاب السياسي عقب 11 سبتمبر وخلال الحرب، وبخاصة ونحن على مشارف الدخول في موسم الانتخابات؟

هناك نزعة نحو استثناء بعض القضايا من حلبة النقاش لسبب أو لآخر، استناداً لاعتبارات الذوق واللباقة في التعامل، وهو ما لا أراه. لأن بوش وأعوانه، بعد كل الأكاذيب التي اقترفوها، يقومون بأعمال تفتقر إلى الذوق واللباقة يجهلها كثير من الناس.

وأنا شخصياً أعتقد أنه لا ينبغي أن نمنع عرض صور الجرحى أو القتلى في الحرب. أعتقد أنه يجب علينا أن نشاهدها بالألوان الحية كل يوم. إنهم يختبئون وراء حجة "أن عرض هذه الصور يعكس عدم الإحساس". بالطبع سيكون فيه عدم إحساس. إننا بحاجة إلى أن نحس بكل ما يحدث على أرض الواقع. إن هذه الفكرة المتعلقة باحترام المشاعر تترجم إلى ما يجوز عرضه وما لا يجوز. وهذا مرفوض في نظري.

علينا أن ننظر إلى قدرة الضربة المضادة. هناك عدد كبير من الناس يتساءلون عما كانت حكومة بوش تعلمه عن هجمات 11 سبتمبر قبل وقوعها، لأن هناك دلائل كثيرة تشير إلى أن حكومة بوش كانت تعلم قبل 11 سبتمبر أن شيئاً ما كان يحدث ولكنهم لم يفعلوا ما يلزم لإيقافه. هذه هي الحقيقة. وهذا ليس كمن يقول بأن حكومة بوش هي التي دبرت الهجوم. مع أن هناك من يقول بذلك. ولكنك إذا قلت بأن حكومة بوش تجاهلت خبراءها في أجهزة الاستخبارات، وعملت على تهيئة الوضع بما يسهل وقوع ما حدث، فإن هذا الموضوع يصبح خارج نطاق النقاش. وخارج نطاق السياسية. ولا أحد يجرؤ على التحدث بذلك. والسبب في أنهم لن يتحدثوا حول هذا الموضوع هو أنهم سيصنفون ضمن المهووسين بنظرية المؤامرة. هذا هو الحاجز الذي يمنعك من الاقتراب من بعض القضايا.

وينتابني فضول هذه الأيام لرؤية ما سيحدث بعد الانتهاء من الجولة الأولى للانتخابات التحضيرية الأولية للرئاسة يوم الثلاثاء الحاسم(*)، بعد أن يفرغ

(*) Super Tuesday يطلق على يوم الثلاثاء من شهر مارس، وتجري فيه جولة انتخابية أولية في 16 ولاية بين مرشحي الأحزاب المتنافسة لاختيار المرشح النهائي الذي سيختاره الحزب لخوض الانتخابات الرئاسية العامة.

الديمقراطيون من التشهير ببضعهم في المعركة الانتخابية للفوز بترشيح الحزب. إنني متشوق حقاً لرؤية ما إذا كان الحزب الديمقراطي سيطعن مرشحه من الخلف، وهو ما فعلوه في السابق وربما يفعلوا الشيء نفسه هذه المرة. ولهذا السبب لا أكن لهم أي احترام. ولكنهم إذا وقفوا وقفة واحدة، فإن لديهم الشيء الكثير من القضايا الكفيلة بالإطاحة بالحكومة الحالية في الانتخابات القادمة، وبخاصة إذا استمر الوضع في العراق بالتردي. وأنا شخصياً لا أتصور أن يفعلوا شيئاً غير ذلك. وإلا فإن الحزب الجمهوري ربما يكون بمقدوره أن ينجح في حسم المعركة الانتخابية مرة أخرى مستخدماً بعض القصص الملفقة في الوقت المناسب ليرفع من مستوى خطر الإرهاب إلى اللون المطلوب، بالإضافة إلى نظام دايبولد في التصويت، فليس من المستبعد أن ينجحوا في ذلك مرة أخرى، من يدري، وسوف ننتظر ونشاهد.

رالي، نورث كارولينا

5 **يناير**، 2004

obeikandl.com